

الكتاب: الإمام المهدي (ع) بين التواتر وحساب الاحتمال
المؤلف: الشيخ محمد باقر الإيرواني
الجزء: الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤٢٠
المطبعة:
الناشر: مركز الأبحاث العقائدية - قم - ایران
ردمک: X-۲۳۰-۳۱۹-۹۶۴
ملاحظات:

سلسلة الندوات العقائدية (٣٨)
الإمام المهدى (عليه السلام)
بين التواتر وحساب الاحتمال
تأليف:

الشيخ محمد باقر الإيرواني
"مركز الأبحاث العقائدية"

(١)

مركز الأبحاث العقائدية
إيران - قم صفائية - ممتاز - رقم ٣٤
ص. ب ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
هاتف: + ٩٨ (٢٥١) ٧٤٢٠٨٨
فاكس: + ٩٨ (٢٥١) ٧٤٢٠٥٦
البريد الإلكتروني net. aqeedaaqaed
الصفحة على الإنترنت com. aqeed. www
شابل (ردمك) X - ٣١٩ - ٢٣٠ - ٩٦٤
الإمام المهدي (عليه السلام)
بين التواتر وحساب الاحتمال
الشيخ محمد باقر الإيرواني
الطبعة الأولى - سنة ١٤٢٠ هـ
* جميع الحقوق محفوظة للمركز *

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة المركز:

لا يخفى أننا لا زلنا بحاجة إلى تكريس الجهد ومضاعفتها نحو الفهم الصحيح والأفهام المناسب لعقائدهنا الحقة ومفاهيمنا الرفيعة، مما يستدعي الالتزام الجاد بالبرامج والمناهج العلمية التي توجد حالة من المفاجلة الدائمة بين الأمة وقيمها الحقة، بشكل يتناسب مع لغة العصر والتطور التقني الحديث.

وانطلاقاً من ذلك، فقد بادر مركز الأبحاث العقائدية التابع لمكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني - مد ظله - إلى اتخاذ منهج يتضمن على عدة محاور بهدف طرح الفكر الإسلامي الشيعي على أوسع نطاق ممكن.

ومن هذه المحاور: عقد الندوات العقائدية المختصة، باستضافة نخبة من أساتذة الحوزة العلمية ومفكريها المرموقين، التي تقوم نوعاً على الموضوعات الهامة، حيث يجري تناولها بالعرض والنقد والتحليل وطرح الرأي الشيعي المختار فيها، ثم يخضع ذلك الموضوع

- بطبيعة الحال - للحوار المفتوح والمناقشات الحرة لغرض الحصول على أفضل النتائج.

ولأجل تعميم الفائدة فقد أخذت هذه الندوات طريقها إلى شبكة الإنترنت العالمية صوتاً وكتاباً.

كما يجري تكثيرها عبر التسجيل الصوتي والمرئي وتوزيعها على المراكز والمؤسسات العلمية والشخصيات الثقافية في شتى أرجاء العالم. وأخيراً، فإن الخطوة الثالثة تكمن في طبعها ونشرها على شكل كراس تحت عنوان "سلسلة الندوات العقائدية" بعد إجراء مجموعة من الخطوات التحقيقية والفنية الالزمة عليها.

وهذا الكراس الماثل بين يدي القارئ الكريم واحد من السلسلة المشار إليها.

سائلينه سبحانه وتعالى أن يناله بأحسن قبوله.
مركز الأبحاث العقائدية
فارس الحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

قال الله عز وجل في كتابه الكريم: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون) (١).

بحثنا إن شاء الله تعالى في هذه المحاضرة يدور حول الإمام المهدي روحي وأرواح العالمين له الفداء، والبحث عن فكرة الإمام المهدي ذات جوانب وجهات متعددة، وانتخبت لكم الحديث عن واحد من تلك الجوانب، وهو جانب ولادة الإمام صلوات الله وسلامه عليه، لأن قوم في محاضرتنا هذه بإثبات الولادة ونفي التشكيك عن ذلك.

١ - الصف: ٨.

(٧)

**التشكيك في فكرة الإمام المهدي
(عليه السلام)**

التشكيك في فكرة الإمام المهدي صلوات الله عليه يمكن إبرازه في بعدين:

البعد الأول: التشكيك في الفكرة من الأساس، فالإمام المهدي سلام الله عليه لم يولد ولا يولد ويرفض القول بأنه سوف يظهر في آخر الزمان رجل يتم إصلاح العالم على يديه، مثل هذا الشخص لم يولد ولا يولد ولا تتحقق مثل هذه الفكرة، هذا بعد من التشكيك في فكرة الإمام المهدي.

البعد الثاني: أن يسلم بفكرة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في الجملة، ولكن يدعى أن هذه الفكرة بعد لم تولد، وإنما تولد فيما بعد، فشخص بعنوان الإمام المهدي لم يتحقق بعد، وإذا كان هناك مصلح يتحقق على يديه إزالة الظلم فذلك يتحقق ويولد فيما بعد.

البعد الأول: التشكيك في أصل الفكرة:

إذا لاحظنا البعد الأول من التشكيك، أي: التشكيك في الفكرة من الأساس، فبالإمكان أن نجد المسلمين متفقين تقريراً على بطلان مثل ذلك، فالإمامية وغيرهم قد اتفقت كلامتهم على أنه سيظهر في آخر

الزمان رجل يتم إصلاح العالم على يده المباركة، وقد دلت على ذلك آيات كثيرة، كما دلت على ذلك مجموعة كبيرة من الروايات.
الاستدلال بالآيات في بطلان التشكيك:

أما الآيات فأتمكن أن أقول هي بين خمس إلى ست، طبيعي الآيات التي لا تحتاج إلى تفسير من قبل أهل البيت سلام الله عليهم والتي هي ظاهرة بنفسها، وواحدة من تلك الآيات ما تلوته على مسامعكم الشريفة: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم)، نور الله هو الإسلام (والله متم نوره)، هذا إخبار من الله عز وجل بأن نوره سوف يتمه على جميع الكرة الأرضية، ومصدق ذلك لم يتحقق بعد، وحيث أنه لا يحتمل في حقه سبحانه عز وجل الأخبار على خلاف الواقع، فلا بد وأن إتمام النور سوف يتحقق يوماً من الأيام، ولا يحتمل تتحقق إلا على يد هذا المصلح وهو الإمام صلوات الله عليه، هذه الآية بنفسها ظاهرة بلا حاجة إلى تفسير روائي.

ومن هذا القبيل قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) (١)، المقصود من الأرض جميع الأرض، ولحد الآن لم يرث جميع الأرض العباد الصالحون، ولا بد وأن يتحقق هذا فيما بعد في المستقبل، ولا يحتمل تتحقق إلا على يد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه.

هاتان الآيتان وغيرهما من الآيات - طبيعي أنا لا أريد أن أقف عند

(١) الأنبياء: ١٠٥ .

هذا بعد من التشكيك، وإنما أريد أن أمر عليه من الكرام كتمهيد إلى
البعد الثاني الذي هو أساس بحثي - تدل على فكرة الإمام المهدي.
ولكن أعود لأؤكد لكم من جديد أن هذه الآيات لا تدل على أن هذا
الشخص قد ولد الآن وهو موجود الآن وغائب عن أعيننا الآن، هذه تدل
على أنه سوف يتحقق هذا الحلم وهذه الأمنية في يوم من الأيام، الأرض
يرثها العباد الصالحون - جميع الأرض - ومن الممكن أن الإمام لم يولد
بعد وسوف يولد في المستقبل، وتحقيق هذه الأمنية على يده في
المستقبل من دون أن يكون مولودا الآن، فمثل هذه الآيات لا تثبت
ولادة الإمام وأنه غائب، بل من المحتمل أنه سوف يولد مثل هذا الشخص في
المستقبل.

الاستدلال بالروايات على بطلان التشكيك:

الروايات أيضا في هذه المجال - في أصل فكرة الإمام المهدي، وأنه
سوف تتحقق هذه الأمنية، ولو من دون دلالة على أن هذا الشخص
مولود بالفعل - كثيرة وسلم بها غير الإمامية أيضا، وألقووا كتابا في جمع
هذه الروايات الدالة على الإمام المهدي وأنه سوف يظهر في آخر الزمان
شخص باسم المهدي، والذي اطلع عليه أنا أكثر من ثلاثين كتابا
للإخوة من العامة غير الإمامية في هذا المجال.

ومن باب المثال أقرأ لكم بعض الروايات:

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: " لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب
رجل

من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي " (١) .

الحديث آخر: " لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً
وعدوانا ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً
وجوراً " (٢) .

وعلى هذا النسق روایات أخرى كثيرة موجودة.

وقد سلم بهذه الروایات وبهذه الفكرة في الجملة غيرنا من الإخوة
العامة، بما فيهم ابن تيمية وابن حجر (٣)، بل في الآونة الأخيرة سلم بها
عبد العزيز بن باز كما ورد في مجلة الجامعة التي تصدر من المدينة
المنورة (٤) وذكر أن هذه الفكرة صحيحة والروایات صحيحة ولا يمكن
إنكار هذه الفكرة.

فالمسلمون إذن بشكل عام قد سلموا بهذه الفكرة، للآيات
والروایات.

وإذا كان هناك منكر فهو قليل، ويمكن أن يعد شاداً، من قبيل ابن
خلدون في تاريخه (٥) وأبو زهرة في كتابه الإمام الصادق (٦) ومحمد

١ - مسنـد أـحمد ١ : ٣٧٧ ح ٣٥٦٣ ، ونحوـه الصـواعـق المـحرـقة: ٢٤٩ .

٢ - مسنـد أـحمد ٣ : ٣٦ ح ١٠٩٢٠ ، كـنـزـ العـمـال ١٤ : ٢٧١ ح ٣٨٦٩١ ، وفـيـه: " رـجـلـ منـ عـترـتـيـ " .

٣ - الصـواعـق المـحرـقة: ٢٤٩ .

٤ - مجلـةـ الجـامـعـةـ الإـسـلـامـيـةـ العـدـدـ ٣ـ مـنـ السـنـةـ الـأـوـلـىـ ١٦١ - ١٦٢ .

٥ - تاريخـ ابنـ خـلـدونـ ١: ١٩٩ .

٦ - الإمامـ الصـادـقـ ١٩٩ .

رشيد رضا في كتابه تفسير المنار (٣) في قوله تعالى: (يريدون ليطفئوا نور الله) (٤)، فإنه حينما يمر بها هناك يقول: الروايات ضعيفة، فهو يحاول تضليل الروايات بمجرد دعوى ذلك لا أكثر.

على أي حال أصل فكرة الإمام المهدي وأنه سوف يتحقق هذا الحلم وتحقيق هذه الأمانة مسلمة من قبل عامة المسلمين تقريراً إلا من شذ، وقد دلت عليها الآيات كما قلت، والروايات الكثيرة التي جمعت في ثلاثة كتاب أو أكثر للإخوة العامة فقط.

البعد الثاني: التشكيك في الولادة:

البعد الثاني للتشكيك هو التشكيك في ولادة الإمام سلام الله عليه، بمعنى أن يقال: نحن نسلم بهذه الفكرة وأنه سيظهر شخص، لكن هذا الشخص لا يلزم أن يكون هو الإمام المهدي، ولا يلزم أن يكون مولوداً الآن، ولا يلزم أن يكون قد غاب، ولعله يولد في المستقبل والآن غير موجود، ولا توجد غيبة، فكيف نتمكن أن ثبت ولادة الإمام المهدي الآن وأنه قد تحققت ولادته؟ إن المهم في محاضرتى هذه هو إثبات هذا الموضوع، وعنونت محاضرتى بعنوان "الإمام المهدي سلام الله عليه بين التواتر وحساب الاحتمال" وسأحاول إن شاء الله إثبات ولادة الإمام من خلال هذين الطريقين، أي: طريق التواتر مرة، وطريق حساب الاحتمال أخرى.

١ - تفسير المنار ١٠: ٣٩٣، سورة التوبة، وله مناقشات حول روايات الإمام

المهدي عليه السلام راجع ٩: ٤٩٩ - ٥٠٧ .

٢ - التوبة: ٣٢

أربع قضايا مهمة

و قبل أن أشرع بالبحث أود أن أبين أربع قضايا كمقدمة لتحقيق
الهدف:

القضية الأولى:

أي مسألة تاريخية إذا ما أردنا إثباتها فهناك طريقان لإثباتها:
أحدهما: التواتر.

ثانيهما: حساب الاحتمال.

والتواتر كما تعلمون يعني: أن يخبر بالقضية مجموعة كبيرة من
المخبرين بحيث لا نتحمل اجتماعهم واتفاقهم وتواطئهم على الكذب،
إذا كان خبر من الأخبار جاء ثلاثة شخص أو مائتا شخص أخبرونا
به، وكل واحد نفترضه من مكان غير مكان الآخر، في مثل هذه الحالة لا
نتحمل تواطؤ الجميع واتفاقهم على الكذب، مثل هذا الخبر يقال له
الخبر المتواتر.

هذا طريق لتحصيل العلم بالقضية والمسألة التاريخية.

الطريق الثاني: أن نفترض أن الخبر ليس متواترا، كما إذا أخبر به
واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة من دون تواتر، ولكن انضمت

إلى ذلك قرائن من هنا وهناك، يحصل العلم بسببها على مستوى حساب الاحتمال.

فلنفترض أن هناك شخصا مصاب بمرض عضال، وجاء شخص وأخبر بأن فلانا قد شوفي من مرضه، يحصل احتمال أنه شوفي بدرجة ثلاثة مائة مثلاً، لكن إذا انضمت إلى ذلك قرائن فسوف ترتفع القيمة الاحتمالية من ثلاثة إلى أربعين وإلى خمسين وإلى أكثر، افترض أننا شاهدناه لا يستعمل الدواء بعد ذلك وكان حينما يحضر في مكان يستعمل الدواء، فهذا يقوى احتمال الشفاء، وإذا كانت القيمة الاحتمالية للشفاء بدرجة ثلاثة الآن ترتفع وتصير بدرجة أربعين مثلاً، وأيضاً شاهدناه يجلس في المجلس ضاحكا مستبشرا، هذه الظاهرة أيضاً تصعد من القيمة الاحتمالية لهذا الخبر، وهكذا حينما تنضم قرائن من هذا القبيل، فسوف ترتفع القيمة الاحتمالية للخبر إلى أن تصل إلى درجة مائة بالمائة.

هذا الخبر هو في الحقيقة ليس خبرا متواترا، لكن لأنضم القرائن حصل العلم.

فهنا حصول العلم يحصل بحساب الاحتمال، يعني بتقوی القيمة الاحتمالية بسبب انضم القرائن.

إذن، حصول العلم بأي قضية تاريخية يتم من خلال أمرين: من خلال التواتر.

ومن طريق حساب الاحتمال بتحجيم القرائن.
هذه القضية الأولى التي أحببت الإشارة إليها.

القضية الثانية:

لا يلزم في الخبر المتواتر أن يكون المخبر من الثقات، فإن اشتراط الوثاقة في المخبر يلزم في الخبر غير المتواتر، كما إذا جاءنا شخص واحد أو اثنان أو ثلاثة وأخبرونا بقضية، هنا يشترط أن يكون المخبر لأجل أن يكون هذا الخبر حجة - عادلا، أما لو كانت القضية أخبر بها مائة أو مائتان أو ثلاثمائة، يعني العدد كان يشكل التواتر فليس من الضروري عدالة المخبر؟ فالعدالة والوثاقة هي شرط في الخبر غير المتواتر.

وأرجو أن لا يحصل خلط في هذه القضية بين الخبر المتواتر وبين الخبر غير المتواتر، إذ البعض يتصور أن مسألة الوثاقة ومسألة عدالة الرواية يلزم تطبيقهما حتى في الخبر المتواتر، هذا غير صحيح، بل الذي نشترط فيه العدالة والوثاقة هو الخبر غير المتواتر.

لماذا لا نشترط في الخبر المتواتر العدالة والوثاقة؟

النكتة هي: أن الخبر المتواتر حسب الفرض يفيد العلم، لكثرة المخبرين، وبعد ما أفاد العلم لا معنى لاشتراط الوثاقة والعدالة، إذ المفروض أن العلم حصل، وليس بعد العلم شيء يقصد، فلا معنى إذن لاشتراط الوثاقة والعدالة في باب الخبر المتواتر، وهذه قضية بدائية وواضحة في سوق العلم.

وعلى أساس هذه القضية ليس من الحق وليس من الصواب أن نأتي إلى الروايات الدالة على ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) أو أي قضية ترتبط بالإمام المهدي سلام الله عليه ونقول: هذه الرواية ضعيفة السندا، الرواية مجاهيل، هذا مجهول أو ذاك مجهول، هذه الرواية الأولى إذن نطرحها،

الرواية الثانية الرواوي فيها مجهول إذن نظرها، والثالثة كذلك، الرابعة هكذا ...

هذا ليس بصحيح، فإن هذا صحيح لو فرض أن الرواية كانت واحدة أو اثنين أو ثلاثة أو أربع أو خمس أو عشر، أما بعد فرض أن تكون الروايات الدالة على ولادة الإمام المهدي سلام الله عليه قد بلغت حد التواتر لا معنى أن نقول هذه الرواية الأولى ضعيفة السند، والثانية ضعيفة السند لجهالة الرواوي والثالثة هكذا، فإن هذه الطريقة وجيهة في الخبر غير المتواتر، أما في الخبر المتواتر فلا معنى لها.

هذه القضية الثانية التي أحببت الإشارة إليها.

القضية الثالثة:

إذا فرض أن لدينا مجموعة من الأخبار تختلف في الخصوصيات والتفاصيل، لكن الجميع يشتراك في مدلول واحد من زاوية، كما لو فرضنا أنه جاءنا مجموعة كبيرة من الأشخاص يخبروننا عن تماثل ذلك الشخص المريض للشفاء، لكن الشخص الأول جاء وأخبر بالشفاء في الساعة الواحدة، والثاني حينما جاء أخبر بالشفاء أيضاً لكن في الساعة الثانية، والثالث حينما جاء أخبر بشفائه لكن في الساعة الثالثة، فاختلفوا في رقم الساعة، لكن الكل متفق على أنه قد شوفي، والخامس أو السادس جاء وأخبر بالشفاء لكن بهذا الدواء، والآخر قال بذلك الدواء، فكان الاختلاف بمثل هذا الشكل، أي: اختلاف في الخصوصيات، لكن الكل متفق من زاوية واحدة، وهي أنه قد شوفي.

في مثل هذه الحالة هل يثبت الشفاء؟

نعم أصل الشفاء يثبت بنحو العلم.

والنكتة في ذلك، أن المخبر الأول في الحقيقة يخبر بخبرين لا بخبر واحد: الخبر الأول الذي يخبر به أنه شوفي، والخبر الثاني أنه شوفي في الساعة الأولى، الثاني حينما يخبر أيضاً يخبر بأنه شوفي، والثالث حينما يخبر أيضاً يخبر بأنه شوفي، إذن هم متفقون في الإخبار الأول أنه شوفي، لكن يختلفون في الإخبار الثاني، إذن في الإخبار الأول التواتر موجود والاتفاق بين الجميع موجود.

ومن هنا نخرج بهذه النتيجة: أن الأخبار الكثيرة إذا اتفقت من زاوية على شيء معين فالعلم يحصل بذلك الشيء، وإن اختلفت هذه الأخبار من الجوانب الأخرى في التفاصيل.

وبعد هذا فليس من حقنا أن نناقش في روايات الإمام المهدى (عليه السلام) ونقول: هذه مختلفة في التفاصيل، واحدة تقول بأن أم الإمام المهدى اسمها نرجس والثانية تقول أن أم الإمام اسمها سوسن والثالثة تقول اسمها شيء ثالث، أو أن واحدة تقول ولد في هذه الليلة والثانية تقول ولد في تلك الليلة أو واحدة تقول ولد في هذه السنة والأخرى تقول في السنة الأخرى، فعلى هذا الأساس هذه الروايات لا يمكن أن نأخذ بها، وليس متواترة وليس مقبولة، لأنها تختلف في التفاصيل، ولا تنفع في إثبات التواتر وفي تحصيل العلم بولادة الإمام سلام الله عليه، لأنها مختلفة ومتضاربة فيما بينها حيث اختلفت بهذا الشكل.

إنه باطل، لأن المفروض أن كل هذه الأخبار متفقة في جانب واحد، وهو الإخبار بولادة الإمام سلام الله عليه، ولئن اختلفت فهي مختلفة في

تفاصيل وخصوصيات أخرى، لكن في أصل ولادة الإمام هي متفقة، فالعلم يحصل والتواتر يثبت من هذه الناحية. هذه القضية الثالثة.

القضية الرابعة:

وهي الأخيرة التي أردت الإشارة إليها: ليس من حق شخص أن يجتهد في مقابل النص، فإذا كان عندنا نص صريح الدلالة وتام السند من كلتا الجهازين، فلا حق لأحد أن يأتي ويقول أنا أجتهد في هذه المسألة.

فالله عز وجل يقول: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) (١)، وهذه الآية بوضوح تدل على الطلب، غاية ما في الأمر ليست صريحة في الطلب الوجبي، لكن في أصل الطلب - طلب الصلاة وطلب الزكاة - دلالتها صريحة وسند القرآن لا مناقشة فيه.

فلا يحق لأحد أن يقول: أنا أريد أن أجتهد في هذه المسألة وأقول هي لا تدل على الطلب!! ليس له هذا الحق، وهذا يسمونه اجتهاد في مقابل النص.

نعم إذا كان يجتهد في الدلالة ويقول لا تدل على الوجوب بل تدل على الاستحباب، فهذا جيد، لأن الدلالة ليست صريحة على الوجوب، أما أن يجتهد في الدلالة على أصل الطلب ويقول أنا أجتهد وأقول لا تدل هذه على أصل الطلب فيرأيي فهذا لا معنى له، لأن دلالتها على الطلب صريحة والسند أيضاً قطعي.

١ - البقرة: ٤٣ .

على ضوء هذا أخرج بهذه النتيجة أيضاً: ليس من حق أحد أن يقول روایات الإمام المهدی أنا اجتهد فيها كما يجتهد الناس في مجالات أخرى، هذا لا معنی له، لأن الروایات حسب الفرض هي واضحة الدلالة صریحة و تامة غير قابلة للاجتهاد، و سندھا متواتر، فالاجتهاد هنا إذن لا معنی له أيضاً، فإن للاجتهاد مجالاً إذا فرض أن الدلالة لم تكن صریحة أو السند لم يكن قطعیاً، أما بعد قطعیة السند و صراحة الدلالة، فالاجتهاد لا معنی له، فإنه اجتهاد في مقابل النص، وهذه قضیة واضحة أيضاً.

هذه أربع قضایا أحیبت الإشارة إليها في مقدمة بحثي ، والآن أدخل في البحث وأريد أن أبین عوامل نشوء اليقین بولادة الإمام المهدی سلام الله عليه، وسوف نلاحظ أن هذه العوامل إما تفید التواتر، أو تفید اليقین بحساب الاحتمال، كما أوضح لكم فيما بعد.

عوامل نشوء اليقين بولادة الإمام
المهدي (عليه السلام)
العامل الأول:

الأحاديث الكثيرة المسلمة بين الفريقين الإمامية وغيرهم، والتي تدل على ولادة الإمام سلام الله عليه، ولكن من دون أن ترد في خصوص الإمام المهدي وبعنوانه، فهي تدل على ولادة الإمام من دون أن تنصب على هذا الاتجاه، وأذكر لكم في هذا المجال ثلاثة أحاديث:
الحديث الأول: حديث الثقلين أو الثقلين، الذي هو حديث متواتر بين الإمامية والإخوة العامة، ولا مجال للمناقشة في سنته، قاله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مواطن متعددة: في حجة الوداع، في حجرته المباركة،

في مرضه، وفي ...، فإذا رأينا اختلافا في بعض ألفاظ الحديث فهو ناشئ من اختلاف مواطن تعدد ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهذا الحديث: "إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، أحدهما أكبر من الآخر، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض" (١).

١ - راجع: المستدرك للحاكم ٣: ١٠٩، المعجم الكبير للطبراني ٥: ٤٩٦٩، تاريخ بغداد: ٨، ٤٤٢، حلية الأولياء ١: ٣٥٥، مجمع الزوائد ٩: ١٦٤، وغيرها كثير جدا.

لاحظوا: "ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض"، يعني أن الكتاب مع العترة، من البداية، من زمان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن يردا عليه الحوض. وهذا يدل على أن العترة الطاهرة مستمرة مع الكتاب الكريم، وهذا الاستمرار لا يمكن توجيهه إلا بافتراض أن الإمام المهدي (عليه السلام) قد ولد ولكنه غائب عن الأعين، إذ لو لم يكن مولوداً وسوف يولد في المستقبل لافترق الكتاب عن العترة الطاهرة، وهذا تكذيب - أستغفر الله - للنبي، فهو يقول: "ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض" هذا لازمه أن العترة لها استمرار وبقاء مع الكتاب إلى أن يردا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا لا يمكن

توجيهه إلا بملأ قلت: إن الإمام المهدي سلام الله عليه قد ولد ولكنه غائب، وإلا يلزم الإخبار على خلاف الواقع.

وهذا حديث واضح الدلالة، يدل على ولادة الإمام سلام الله عليه، لكن كما قلت هذا الحديث لم يرد ابتداء في الإمام المهدي، وإنما هو منصب على قضية ثانية: " وإنهما لن يفترقا "، لكن نستفيد منه ولادة الإمام بالدلالة الالتزامية.

وقد يقول قائل: لنفترض أن الإمام (عليه السلام) لم يولد، ولكن في فترة الرجعة التي ستقع في المستقبل يرجع الإمام العسكري (عليه السلام)، ويتوارد آنذاك الإمام المهدي (عليه السلام)، إن هذه فريضة ممكنة وعلى أساسها يتم التلازم بين صدق الحديث وافتراض عدم ولادة الإمام (عليه السلام).

وجوابنا: أن لازم هذه الفريضة تحقق الافتراق بين العترة الطاهرة والكتاب الكريم في الفترة السابقة على فترة الرجعة، ففي هذه الفترة لا

وجود للإمام المهدي (عليه السلام) ولا وجود للعترة وقد تحقق فيها افتراق الكتاب الكريم عن العترة الطاهرة.

الحديث الثاني: حديث الاثني عشر، وهذا أيضاً حديث مسلم بين الفريقيين، يرويه البخاري ومسلم وغيرهما من طرق أهل السنة، ومن طرقنا أيضاً قد رواه غير واحد كالشيخ الصدوق مثلاً في كمال الدين والحديث منقول عن جابر بن سمرة يقول:

دخلت مع أبي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمعته يقول: "إن هذا لا ينقضني

حتى يمضي فيهماثنا عشر خليفة"، ثم تكلم بكلام خفي علي، فقلت لأبي ما قال؟ قال: كلهم من قريش (١).

وهذا الحديث من المسلمات أيضاً، وليس له تطبيق معقول ومقبول إلا الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام).

وجاء البعض وحاول تطبيقه على الخلفاء الراشدين وأثنين أو ثلاثة من بنى أمية وأثنين أو ثلاثة من بنى العباس.

إن هذا تطبيق غير مقبول، وكل شخص يلاحظ هذا الحديث يجده إخباراً غيبياً من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن قضية ليس لها مصدق وجيه ومقبول

سوى الأئمة صلوات الله عليهم الأئمة عشر.

وهذا الحديث بالملازمة يدل على ولادة الإمام المهدي سلام الله عليه، إذ لو لم يكن مولوداً الآن، والمفروض أن الإمام العسكري توفي،

١ - كمال الدين: ٢٧٢، والغيبة للطوسي: ١٢٨.
وانظر صحيح البخاري: ٩: ٧٢٩ كتاب الأحكام باب الاستخلاف، وصحيح مسلم: ٣: ٢٢٠ ح ١٨٢١
كتاب الإمارة، ومسند أحمد: ٥: ٩٠.

ولم يتحمل أحد أنه موجود، إذن كيف يولد الإمام المهدي من أب هو متوفى.

فلا بد وأن نفترض أن ولادة الإمام (عليه السلام) قد تحققت، وإلا هذا الحديث يعود تطبيقه غير وجيء.
فهذا الحديث بالدلالة الالزامية يدل على ولادة الإمام صلوات الله وسلامه عليه.

الحديث الثالث الذي أريد أن أذكره في هذا المجال، حديث أيضا مسلما سندنا بين الفريقين، وهو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية" (١)، هذا أيضا يرويه أهل السنة، ويرويه الشيخ الكليني في الكافي، فهو مسلم عند السنة والشيعة.

إذا لم يكن الإمام المهدي (عليه السلام) مولودا الآن، فهذا معناه نحن لا نعرف إمام زماننا، فميتتنا ميتة جاهلية.

فالحديث يدل على أن كل زمان لا بد فيه من إمام، وكل شخص مكلف بمعرفة ذلك الإمام ومكلف بأن لا يموت ميتة جاهلية، فلو لم يكن الإمام مولودا إذن كيف نعرف إمام زماننا؟

هذه أحadiث ثلاثة، وإن لم تكن منصبة على الإمام المهدي صلوات الله عليه مباشرة، ولكنها بالدلالة الالزامية تدل على أن الإمام سلام الله عليه قد ولد وتحققت ولادته.

١ - كمال الدين: ٤٠٩ ح ، المناقب لابن شهرآشوب: ٣، ٢١٧، ونحوه الكافي ١: ٣٧٧ ح ٣، وفي مسنون الطيالسي: ٢٥٩، وصحيح مسلم: ٣: ٢٣٩ ح ١٨٥١ عن عبد الله بن عمر: "... من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية".

العامل الثاني

إخبار النبي والأئمة صلوات الله عليهم بأنه سوف يولد للإمام العسكري ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وغيث، ويلزم على كل مسلم أن يؤمن بذلك.

هذه الأحاديث كثيرة، فالشيخ الصدوق في كمال الدين جعلها في أبواب:

باب ما روي عن النبي في الإمام المهدي، ذكر فيه خمسة وأربعين حديثاً.

ثم بعد ذلك ذكر باب ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في الإمام المهدي.

ثم باب عن الزهراء سلام الله عليها وما ورد عنها في الإمام المهدي (عليه السلام)، ذكر فيه أربعة أحاديث.

ثم عن الإمام الحسن (عليه السلام)، ذكر فيه حديثين.

ثم عن الإمام الحسين (عليه السلام)، ذكر فيه خمسة أحاديث.

ثم عن الإمام السجاد (عليه السلام)، ذكر فيه تسعه أحاديث.

ثم عن الإمام الباقر (عليه السلام)، ذكر فيه سبعة عشر حديثاً.

ثم عن الإمام الصادق (عليه السلام)، ذكر فيه سبعة وخمسين حديثاً.
وقد جمعت الأحاديث فكانت مائة وثلاثة وتسعين حديثاً.

هذا فقط ما يرويه الشيخ الصدوق في الإكمال (١)، ولا أريد أن أضم
ما ذكره الكليني في الكافي، والشيخ الطوسي، وغيرهما (٢)، وربما آنذاك
يفوق العدد الألف روایة.

وبتر كا وتيمناً أذَّكر حديثاً واحداً عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَحدِيثَيْنِ عَنِ
الإمام الصادق سلام الله عليه.

أما عن النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ):

فهو ما رواه ابن عباس قال: سمعت النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يقول: "... ألا
وإن الله

تبارك وتعالى جعلني وإياهم حججاً على عباده، وجعل من صلب
الحسين أئمة يقومون بأمرني، ويحفظون وصيتي، التاسع منهم قائم أهل
بيتي ومهدي أمتني، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، يظهر بعد
غيبة طويلة...". إلى آخر الحديث (٣).

وبهذا المضمون أو قريب منه أحاديث كثيرة، وبعض الأحاديث
تذكر أسماء الأئمة صلوات الله عليهم.

وأما عن الإمام الصادق (عليه السلام):

فهو ما رواه محمد بن مسلم بسند صحيح متافق عليه قال: سمعت أبا

١ - كمال الدين: ٢٥٦ - ٣٨٤ .

٢ - الكافي ١: ٣٢٨ - ٣٣٥ ، والغيبة للطوسي: ١٥٧ ، البحار ٦٥: ٥١ - ٦٦٢ .

٣ - كمال الدين: ٢٥٧ ح ٢ ، كفاية الأثر: ١٠ .

عبد الله (عليه السلام) يقول: "إن بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها" (١).
و الحديث آخر عن زراره يقول: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: "إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، يا زراره وهو المنتظر، وهو الذي يشك في ولادته" (٢).

فمسألة التشكيك في الولادة أخبر بها الإمام الصادق (عليه السلام) من ذلك الزمان، فكان أول من شكك في الولادة جعفر عم الإمام المهدي (عليه السلام)، لعدم اطلاعه على الولادة، ووجود تعين إعلامي قوي على مسألة ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)، نتيجة الظروف الحرجة المحيطة بالإمامية في تلك الفترة، حتى أنه لم يحز الأئمة التصريح باسم الإمام المهدي، فجعفر ما كان مطلاً على أن الإمام العسكري (عليه السلام) له ولد باسم الإمام المهدي، لذلك فوجئ بالقضية وأنكر أو شكك في الولادة، فهو أول من شكك.

ثم تلاه في التشكيك ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل، شكك في مسألة الولادة فقال: وتقول طائفة منهم - أي من الشيعة - أن مولد هذا يعني الإمام المهدي الذي لم يخلق قط في سنة ستين ومائتين، سنة موت أبيه (١).

وبناءً على ذلك محمد اسعاف النشاشيبي في كتابه الإسلام الصحيح، يقول: ولم يعقب الحسن - يعني العسكري سلام الله عليه -

١ - الكافي ١: ٣٤٠ ح ١٥، الغيبة للطوسي: ١٦١ ح ١١٨.

٢ - كمال الدين: ٣٤٢ ح ٢٤.

٣ - الفصل ٣: ١١٤.

ذكرا ولا أنتي (١).

على أي حال مسألة التشكيك في الولادة أخبر بها الإمام الصادق (عليه السلام)، وكانت موجودة من تلك الفترة، فالإمام يقول لزراة: " وهو المنتظر وهو الذي يشك في ولادته، منهم من يقول مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول أنه ولد قبل موت أبيه بستين... " إلى أن يقول الإمام: " يا زراة إذا أدركت ذلك الزمان فادعوا بهذا الدعاء: " اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفي نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفي رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفي حجتك ضللت عن ديني " (٢).

وأقا الإنسان والعياذ بالله فجأة يضل عن الدين من حيث لا يشعر، فالدعاء بهذا ضروري للبقاء بالتمسك بهذا المذهب الصحيح: " اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفي حجتك ضللت عن ديني ".

ومن الأشياء التي لا تنبغي الغفلة عنها الأدعية المعروفة عن أهل البيت صلوات الله عليهم، ومنها هذا الدعاء: " اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كل ساعة ولها وحافظا وقائدا وناصرا ودليلا وعينا حتى تسكنه أرضك طوعا وتمتعه فيها طويلا " (٣).

ومن الطبيعي أن الأئمة صلوات الله عليهم يذكرون هذا الدعاء

١ - الإسلام الصحيح: ٣٤٨ .

٢ - كمال الدين: ٣٤٢ ح ٣٠٢٤ - الكافي ٤: ٦٢ .

ليعلموا شيعتهم، ومن تعبيرهم بالحججة فقط يعلم مدى حالة الكتمان والتكتيم، حتى أن الوارد في الدعاء المتقدم " اللهم كن لوليك فلان ابن فلان " كتماناً للاسم المبارك.

هذه جملة من الأحاديث، وهي بهذا الصدد كثيرة، رواها الكليني في الكافي والشيخ في الغيبة وغيرهما، وهي تشكل في الحقيقة مئات الأحاديث في هذا المجال.

وبعد هذه الكثرة فهي من حيث السند متواترة لا معنى للمناقشة فيها، وهي واضحة غير قابلة للاجتهاد، وإنما كان ذلك اجتهاداً في مقابل النص.

هذا هو العامل الثاني من عوامل نشوء اليقين بولادة الإمام المهدي سلام الله عليه.

العامل الثالث

رؤيه بعض الشيعة للإمام المهدي (عليه السلام)، كما حدثت به مجموعة من الروايات الأخرى، وهذه الروايات التي سأذكرها هي غير الروايات التي ذكرها الشيخ الصدوق في كمال الدين.

فرغم التعظيم الإعلامي بالنسبة إلى اسم الإمام وولادته (عليه السلام) الذي قام به الأئمة (عليهم السلام)، السلطة اطلعت من خلال إخبار النبي وأهل البيت أنه سوف يولد شخص من ذرية الإمام العسكري يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وتزول على يده المباركية السلطات الظالمة، إنهم كانوا مطلعين ويراقبون الأوضاع، كما اطلع فرعون على مثل هذه القضية وكان يراقب الأوضاع ويراقب النساء ويراقب القوابل، ونفس القضية اتبعها بنو العباس في زمان المعتمد العباسي، فكانوا يراقبون الأوضاع، ولذلك كانت القضية تعيش كتماناً شديداً من هذه الناحية.

حتى أن الإمام الهادي سلام الله عليه يروي عنه الثقة الجليل أبو القاسم الجعفري داود بن القاسم الرجل العظيم الثقة الجليل ويقول: سمعت أبا الحسن - يعني الإمام الهادي (عليه السلام) - يقول: "الخلف من بعدي الحسن ابني، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟" فقلت: ولم جعلني

الله فداك؟ فقال: "إنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه"، فقلت: فكيف نذكره؟ قال: "قولوا الحجة من آل محمد" (١). على أي حال، رغم هذا التعظيم الإعلامي الذي حاول الأئمة (عليهم السلام) أن يقوموا به رأى الإمام المهدى (عليه السلام) جماعة من الشيعة. ينقل الشيخ الكليني عن محمد بن عبد الله و محمد بن يحيى جمیعا عن عبد الله بن جعفر الحميري.

وهذا السنن في غاية الصحة والوثاقة، فالشيخ الكليني معروف إذا حدث هو مباشرة بكلام يحصل من قوله اليقين، ومحمد بن عبد الله هو محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري من الثقات الأجلة الأعظم، ومحمد بن يحيى العطار هو أستاذ الشيخ الكليني من الأعظم الأجلة، فاثنان من أعاظم مشايخ الكليني الكبار ينقل عنهم، وعبد الله بن جعفر الحميري معروف بالوثيقة والجلاله.

يقول عبد الله بن جعفر الحميري: اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو (٢) (رحمه الله) عند أحمد بن إسحاق (٣)، فغمزني أحمـد بن إسحاق أن أسأله عن الخلف، فقلـت له: يا أبا عمـرو إني أـريد أن أـسألـك عن شـئ وـما أنا

بـشـاكـ فيـمـا أـريدـ أنـ أـسـأـلـكـ عـنـهـ، فـإـنـ اـعـتـقـادـيـ وـدـيـنـيـ أـنـ الـأـرـضـ لـاـ تـخـلـوـ منـ حـجـةـ،...ـ وـلـكـ أـحـبـتـ أـنـ أـزـدـادـ يـقـيـنـاـ، فـإـنـ إـبـرـاهـيمـ (عليـهـ السـلـامـ) سـأـلـ رـبـهـ عـزـ وـجـلـ أـنـ يـرـيهـ كـيـفـ يـحـيـيـ الـمـوـتـىـ فـقـالـ: أـوـلـمـ تـؤـمـنـ؟ـ قـالـ: بـلـيـ وـلـكـ

١ - الكافي ١: ٣٢٨، كمال الدين: ٣٨١ ح ٥.

٢ - عمرو بن عثمان بن سعيد العمري السمان.

٣ - أحمد بن إسحاق القمي الأشعري المعروف بالوثيقة.

ليطمئن قلبي، وقد أخبرني أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن - يعني عن الإمام الهادي (عليه السلام) - قال: سأله وقلت: من أعمال؟ وعمن آخذ وقول من أقبل؟ فقال: "العمري ثقتي، فما أدى إليك عنى فعني يؤدي، وما قال لك عنى يعني يقول، فاسمع له وأطع، فإنه الثقة المأمون"، وأخبرني أبو علي أنه سأل أبا محمد (عليه السلام) - يعني الإمام العسكري (عليه السلام) - عن مثل ذلك؟ فقال:

"العمري وابنه ثقنان، فما أدى إليك يعني يؤديان وما قال لك يعني يقولان، فاسمع لهم وأطعهما، فإنهم الشقنان المأمونان"، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك، قال: فخر أبو عمرو ساجدا وبكى ثم قال: سل حاجتك، فقلت له: أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد؟ - يعني من بعد العسكري - فقال: إيه والله.... فقلت له: فبقيت واحدة، فقال لي: هات، قلت: الاسم؟ قال: محرم عليكم أن تسألوا عن ذلك، ولا أقول هذا من عندي، وليس لي أن أححل ولا أحرم، ولكن عنه (عليه السلام)، فإن الأمر عند السلطان أن أبا محمد مضى ولم يخلف ولدا وقسم ميراثه... فاتقوا الله وامسكونوا عن ذلك" (١).

فهل هذه الرواية قابلة للاجتهاد من حيث الدلالة؟ إنها من حيث الدلالة صريحة، ويتمسك بها الأصوليون في مسألة حجية خبر الثقة، وقد ذكر السيد الشهيد الصدر في أبحاثه أن هذه الرواية لو وحدها تقييدنا اليقين - وقد ذكر ذلك لا بمناسبة الإمام المهدي، بل بمناسبة حجية خبر الثقة - إذ هناك إشكال يقول إن هذه الرواية هي خبر واحد فكيف نستدل بها على حجية خبر الواحد؟ ما هذا إلا دور في

١ - الكافي ١ : ٣٢٩ ح ، الغيبة للطوسي: ٢٤٣ ح ٢٠٩ .

هذا المجال، وكان السيد الشهيد يريد أن يثبت أن هذه الرواية تفيض اليقين، لأن الشيخ الكليني كلما ينقل ويقول: أخبرني، فلا نشك في إخباره، والذي أخبره هو محمد بن عبد الله ومحمد بن يحيى العطار، وهما من أعظم الشيعة لا نحتمل في حقهم أنهم كذبوا أو أخطأوا ويحصل القطع من نقلهما، وهما ينقلان عن عبد الله بن جعفر الحميري الذي هو من الأعظم، وهو ينقل مباشرة عن السفير الأول للإمام سلام الله عليه، والسفير يقول: أنا رأيت الخلف بعيني.

فهذه الرواية لوحدها يمكن أن يحصل منها اليقين، وهي واضحة في الدلالة على أنه قد رأى الإمام صلوات الله وسلامه عليه. وهناك رواية أخرى تنقل قصة حكيمه بنت الإمام الجواد سلام الله عليه، وهذه القصة مشهورة، ولكن لا بأس أن أشير إلى بعض مقاطعها، وهي مذكورة في كتاب كمال الدين وغيره.

تنقل حكيمه: بعث إلى أبي محمد سلام الله عليه سنة خمس وخمسين ومائتين في النصف من شعبان وقال: يا عمدة اجعلني الليلة إفطارك عندي فإن الله عز وجل سيبارك بوليه وحاجته على خلقه خليفتي من بعدي، قالت حكيمه: فتداخرني لذلك سرور شديد وأخذت ثيابي علي وخرجت من ساعتي حتى انتهيت إلى أبي محمد (عليه السلام) وهو جالس في صحن داره وجواريه حوله، فقلت: جعلت فداك يا سيدى الخلف من هو؟ قال: من سوسن - في بعض الروايات سوسن، وفي بعضها نرجس، وفي بعضها شئ آخر - وقلت أن هذه الاختلافات لا يمكن أن يتثبت بها شخص ويقول هذه الروايات مردودة لأنها مختلفة، فإن هذا

ليس له أثر - فأدرت طرف فيهن فلم أر جارية عليها أثر غير سوسن، قالت حكيمة: فلما صليت المغرب والعشاء أتيت بالمائدة فأفطرت أنا وسوسن وبأيتها في بيته واحد، فغفوت غفوة ثم استيقظت، فلم أزل مفكراً فيما وعدني أبي محمد من أمر ولبي الله، فقمت قبل الوقت الذي كنت أقوم فيه كل ليلة للصلوة، فصليت صلاة الليل حتى بلغت إلى الوتر، فوثبت سوسن فزعة وخرجت فزعة وأسبغت الوضوء، ثم عادت -

يعني أم الإمام المهدي (عليه السلام) - فصلت صلاة الليل وبلغت الوتر، فوقع في قلبي أن الفجر قد قرب، فقمت لأنظر فإذا بالفجر الأول قد طلع، فتدخل قلبي الشك من وعد أبي محمد (عليه السلام) فناداني من حجرته: "لا تشكي وكأنك بالأمر الساعة" ، قالت حكيمة: فاستحييت من أبي محمد ومما وقع في قلبي ورجعت إلى البيت خجلة، فإذا هي قد قطعت الصلاة وخرجت فزعة، فلقيتها على باب البيت فقلت: بأبي أنت وأمي هل تحسين شيئاً؟ قالت: نعم يا عمّة إني لأجد أمراً شديداً، قلت: لا خوف عليك إن شاء الله، وأخذت وسادة فألقيتها في وسط البيت وأجلستها عليها وجلست منها حيث تبعد المرأة للولادة، فقبضت على كفي وغمزت غمزة شديدة ثم أنت آنة وتشهدت ونظرت تحتها فإذا أنا بولي الله صلوات الله عليه متلقياً الأرض بمساجده (١).

ونقل الشيخ الطوسي أيضاً في الغيبة حديثاً ظريفاً فقال: جاء أربعون رجلاً من وجهاء الشيعة اجتمعوا في دار الإمام العسكري ليسألوه عن الحجة من بعده، وقام عثمان بن سعيد العمري

(١) الغيبة للطوسي: ٢٣٤ ح ٢٠٤.

قال: يا بن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني، فقال له: إجلس يا عثمان، فقام مغضباً ليخرج، فقال: لا يخرجن أحد، فلم يخرج منها أحد، إلى أن كان بعد ساعة فصاح (عليه السلام) بعثمان فقام على قدميه فقال: أخبركم بما جئتم؟ قالوا: نعم يا بن رسول الله، قال: جئتم تسألوني عن الحجّة من بعدي؟ قالوا: نعم، فإذا غلام كأنه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد، فقال: هذا إمامكم من بعدي، وخليفتى عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونـه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه " (١). هذه أربع روايات نقلتها لكم، والروايات في هذا الصدد كثيرة جداً، وحسيناً ما روي في رؤية الإمام الذي هو في الحقيقة يمكن أن يشكل مقدار التواتر.

١ - الغيبة للطوسي: ٣٥٧ ح ٣١٩

العامل الرابع

وضوح فكرة ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) بين الشيعة، فالذى يقرأ التاريخ ويقرأ الروايات يفهم أن الشيعة من الزمان الأول كانوا يتداولون فكرة الإمام المهدي وأنه يغيب، وكانت قضية واضحة فيما بينهم، ولذلك نرى أن الناووسية ادعت أن الإمام الغائب هو الإمام الصادق (عليه السلام)، ولكن بعد وفاة الإمام الصادق اتضح بطلان هذه العقيدة، والواقفية ادعوا أن الإمام المهدي الذي يبقى هو الإمام موسى بن جعفر سلام الله عليه، وألقت النظر إلى أن هذا لا ينبغي سبباً لتضييف فكرة الإمام المهدي، بل بالعكس، هذا عامل للتقوية، لأن هذا يدل على أن هذه الفكرة كانت فكرة واضحة بين الأوساط، ولذلك ينسبون إلى بعض الأئمة نسبة غير صحيحة وأن هذا هو الإمام المهدي أو ذاك.

وإذا راجعنا كتاب الغيبة للشيخ الطوسي نجده يذكر بعنوان الوكلاء المذمومين عدة، منهم: محمد بن نصير النميري، أحمد بن هلال الكرخي، محمد بن علي بن أبي العزاقر الشلمغاني، وغير ذلك إلى عشرة أو أكثر من الذين ادعوا الوكالة والسفارة عن الإمام كذباً وزوراً وخرجت عليهم اللعنة وتبرأ منهم الشيعة.

وهذا العامل أيضا لا يكون سببا لتضييف فكرة الإمام المهدي وولادته وغيبته، بل هذا في الحقيقة عامل للتفويم، إذ يدل على أن هذه الفكرة كانت واضحة وثابتة، لذلك ادعى هؤلاء الوكالة كذبا وزورا، وخرجت البراءة واللعنة في حقهم.

إذن هذا العامل الرابع من عوامل حصول اليقين بفكرة الإمام المهدي (عليه السلام).

(٤٠)

العامل الخامس

إن قضية السفراء الأربعة وخروج التوقيعات بواسطتهم قضيّته واضحة في تاريخ الشيعة، ولم يشكك فيها أحد من زمان الكليني الذي عاصر سفراء الغيبة الصغرى ووالد الشيخ الصدوق علي بن الحسين وإلى يومنا، إنه لم يشكك أحد من الشيعة في جلالة هؤلاء السفراء ولم يحتمل كذبهم، وهم أربعة:

الأول: عثمان بن سعيد أبو عمرو، الذي قرأتنا الرواية المتقدمة عنه، وكان عثمان بن سعيد السمان يبيع السمن في الزقاق، وكانت الشيعة توصل له الكتب والأموال فيضعها في الزقاق، حتى يخفى القضية ثم يوصلها إلى الإمام، وكان هذا وكيلًا عن الإمام الهادي وعن الإمام العسكري وبعد ذلك عن الإمام الحجة صلوات الله عليهم.

الثاني: محمد بن عثمان بن سعيد.

الثالث: الحسين بن روح.

الرابع: علي بن محمد السمرى.

هؤلاء أربعة سفراء أجلة، خرجت على أيديهم توقيعات - استفتاءات - كثيرة، نجد جملة منها في كتاب الدين، وفي كتاب الغيبة،

وكتب أخرى.

إن هذه السفارة والسفراء الذين ما يحتمل في حقهم الكذب،
وخروج هذه التوقعات الكثيرة بواسطتهم هو نفسه قرينة قوية على
صحة هذه الفكرة، أي: فكرة ولادة الإمام المهدى، وعلى أنه غائب
صلوات الله وسلامه عليه.

(٤٢)

العامل السادس

تصرف السلطة، فإن تاريخ الإمامية وغيرهم ينقل أن المعتمد العباسي بمجرد أن وصل إلى سمعه أنه ولد للإمام مولود أرسل شرطه إلى دار الإمام وأخذوا جميع نساء الإمام واعتقلوهن حتى يلاحظوا الولادة من؟ طبعي بعض التاريخ ينقل أن القضية كلها كانت بإرشاد جعفر عم الإمام المهدي، وهذا غير مهم، فإن نفس تصرف السلطة قرينة واضحة على أن مسألة الولادة ثابتة، وإن فهذا التصرف لا داعي إليه.

(٤٣)

العامل السابع

إن كلمات المؤرخين وأصحاب التاريخ والنسب من غير الشيعة واضحة في ولادة الإمام المهدى، منهم:

ابن خلkan قال: أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري، ثانى عشر الأئمة الاثنى عشر على اعتقاد الإمامية، المعروف بالحجۃ، كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين وما تبعها (١).

والذهبی قال: وأما ابنه محمد بن الحسن الذي تدعوه الراضاة القائم الخلف الحجة، فولد سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة ست وخمسين (٢).

وابن حجر الهیتمی قال: ولم يخلف - يعني الإمام العسكري - غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنین (٣).

وخير الدين الزركلي قال: ولد في سامراء، ومات أبوه وله من العمر خمس سنین (٤).

١ - وفيات الأعيان ٤: ١٧٦ رقم: ٥٦٢

٢ - تاريخ الإسلام ١٩: ١١٣ رقم: ١٥٩.

٣ - الصواعق: ٢٥٥ و ٣١٤.

٤ - الأخلاق ٦: ٨٠.

إلى غير ذلك من كلمات المؤرخين العامة، وهي تشكل قرينة على صحة هذه القضية.

(٤٦)

العامل الثامن

تباني الشيعة واتفاقهم من زمان الكليني ووالد الشيخ الصدوقي وإلى يومنا هذا على فكرة الإمام المهدي (عليه السلام) وغيبته، وفي كل طبقات الشيعة لم نجد من شكك في ولادة الإمام وفي غيبته، وهذا من أصول الشيعة وأصول مذهبهم.

(٤٧)

حساب الاحتمال

هذه عوامل ثمانية لنشوء اليقين، وقبل أن أختتم محاضرتى أقول: نحن إما أن نسلم بكثرة الأخبار وتوارتها ووضوح دلالتها على الغيبة، ومعه فلا يمكن لأحد أن يجتهد في مقابلها، لأنه اجتهاد في مقابل النص.

أو لا نسلم التواتر، ولكن بضميمةسائر العوامل إلى هذه الأخبار - التي منها: تبني الشيعة، وكلمات المؤرخين، ووضوح فكرة الإمام المهدي ولادته بين طبقات الشيعة من ذلك التاريخ السابق، وتصرف السلطة، ومسألة السفاراة والتوفیعات، وغير ذلك من العوامل - يحصل اليقين بحقانية القضية.

إذن نحن بين أمرتين:

أما التواتر، على تقدير التسليم بكثرة الأخبار وتوادرها.

أو اليقين، من خلال ضم القرائن على طريقة حساب الاحتمال.

نَسَأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أَنْ يَهْدِنَا إِلَى الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ.